رباعيات

صيرَك الحسن أميرَ الوجود والشعر من درَّاته كلَّلَكْ
مستلهمًا منك معاني الخلود فكل تاجٍ في العلى منك لكْ

* * *

فَنَاهِبٌ برقَ الثنايا العذابْ وسارقٌ ياقوتةً من فمكْ
وكل تغريد الهوى والشبابْ أغْنيةٌ حامت على مبسمكْ

* * *

وذلك الماس الرفيع السنا والجوهر الغالي الذي صِدْتُهُ
أرفع من فكر الورى مَعْدِنا وكل فضلي أنني صُغْتُهُ!

* * *

لا فكر لي، عشتُ على فكرتكْ أقبس ما أقبس من غُرَّتكْ
ودمعتي تقتات من عبرتكْ فانظر بمرآتي إلى صورتكْ

* * *

أشقانيَ الحبُّ وقلبي سعيدْ يَعُدُّ هذا الدمع من أنعمكْ
أجزل ما كافأ هذا الشهيدْ بلوغُه المجد على سُلَّمكْ

* * *

لا شيء من يوم النَّوى منقذي إني امرؤٌ عنك وشيك المسيرْ
وأنت باقٍ والجمال الذي غنَّى به شعري ليومي الأخيرْ

* * *

انظر إلى آيات هذا الجمالْ ترتدُّ عنها عاديات البلى
عاجزةَ الباع ويأبى الزوالْ لوردةٍ من عَدْن أن تذبلا

* * *

للأنفس الظمأى إليك التفاتْ ولهفةٌ ملءَ اللّحاظ الجياعْ
ولي التفاتٌ لسريِّ الصِّفات واللؤلؤِ اللمَّاح خلف القناعْ

* * *

قلبي مع الناس وفكري شَرودْ في عالَمٍ رَحْبٍ بعيد الشِّعابْ
عيني على سرٍّ وراء الوجود وبغيتي عرشٌ وراء السحابْ!

* * *

كم طرت بي واجتزت سور الضبابْ والضوء ملءُ القلب ملءُ الرحابْ
وعدت بي للأرض أرض السَّرابْ والليلُ جهمٌ كجناح الغرابْ

* * *

أريْتَني الغيبَ الذي لا يُرى كشفتَ لي ما لا يراه البصرْ
ثم انحدرنا نستشفُّ الثرى علَّ وراءَ التُّرْب سرَّ السفرْ

* * *

صدري وسادٌ زاخرٌ بالحنانْ تصوُّري أعجب ما في الزمانْ
موج على لُجَّته خافقان قَرَّا على أرجوجةٍ من أمانْ

* * *

كمركب في البحر يومَ اغترابْ ما أبعد المحنةَ بعد اقترابْ
هيهات يُنْجِي من شطوط العذابْ إلَّا عبابٌ دافقٌ في عبابْ

* * *

ملأتُ كأسي وانتظرتُ النديم فما لساقي الرُّوح لا يُقبلُ؟!
شوقي جحيمٌ وانتظاري جحيم أقلُّ ما في لفْحِهِ يقتلُ

* * *

أنت كريمُ الودِّ حُلوُ الوفاءْ فما الذي عَاقَكَ هذا المساءْ؟
وما الذي أخَّر هذا اللقاءْ وحرَّم النبع وصدَّ الظِماءْ؟

* * *

أذمُّ هذا الوقت في بُطْئِهِ آخرهُ يعثرُ في بَدْئِهِ
لله ما أحمل من عبئِهِ وما يعاني القلب من رُزْئِه

* * *

تدقُّ فيه ساعةٌ لا تدورْ وإن تَدُرْ فهو صراعُ اللُّغوبْ
رنينُها يُقلق صمَّ الصدورْ وطَرْقُها يقرع بابَ القلوبْ

* * *

يا ذاهبًا لم يَشْف مني الغليل ما أسرع العقربَ عند الرحيلْ
هتفتُ: قف لم يبق إلَّا القليلْ وكلُّ حيٍّ سائرٌ في سبيلْ!

* * *

يومٌ تولَّى أو ظلامٌ سجا كلاهما بالقرب منك انتصارْ
أأحمد اليوم تلاه الدُّجى أم أحمد الليل تلاه النهارْ؟

* * *

إنْ نَـوَّر الـنـجـمُ بـه مـرَّةً فـإن إشـراقَـكَ لـي مـرَّتـانْ
وكيف يُبقي الشكُّ لي حيرةً ولي على برج المنى نجمتانْ؟

* * *

فـهـذه تـلـمـع فـي خـاطـري مِـلءُ دمـي إشـراقُـهـا والـبـهـاءْ
وهـذه تُـومِـئُ لـلـسـاهـرِ والـلـيـل صـافٍ وأديـم الـسـمـاءْ

* * *

وهـذه تـجـلـو كـثـيـف الـغـيـومْ وهـذه تَـدْرَأُ عـنـي الـهـمـومْ
وتَمحق الحزنَ وتَأسُو الكلومْ فما الذي أَجْرى دموعَ النجومْ؟

* * *

هـيـهـات أنـسـى دُرَّة الأنـجـمِ إلـيَّ مـن آفـاقـهـا تـرتـمـي
وفـي جـريـحٍ أعـزلٍ تـحـتـمـي مـن أي هـولٍ؟ هـي لـم تـعـلـمِ!

* * *

إنَّ ضلوعًا تحتمي في ضلوعْ مـقـادرٌ لـيـس بـهـا مـن رجـوعْ
أخلدُ أصفاد الجوى والنزوعْ هـوى الـحـزانـى وعـنـاق الـدمـوعْ

* * *

رضيت بالدهر على ما جَنَى وأُبْتُ بالحكمة بعد الجنونْ
ومـرَّ يـومـي هـادئًـا سـاكـنـا وأَيُّ شـيءٍ خـادع كـالـسـكـونْ

* * *

أرنو إلى الصحراءِ حيث الرمالْ نـامـت كـأنَّ الـلـفـحَ فـيـهـا ظـلالْ
يـا لـيـت لـي والـدهـر حـالٌ وحـالْ من وقدةِ الإحساسِ بعض الكلالْ

* * *

فأقبلُ الدنيا على حالها مسلِّمًا بالغدرِ في آلها
وراضيًا عنها بأغلالها محتملًا وطأة أثقالها

* * *

الرُّعْبُ سيّان بها والأمانْ والحسنُ زادٌ سائغٌ للزمانْ
والوهمُ في حالاتها كالعِيان والحبُّ والكرهُ بها توأمانْ

* * *

وَدِدْتُ لو قلبي كهذي القفارْ أصمُّ لا يسمع ما في الديارْ
أعمى عن الليل بها والنهارْ وددتُ لو قلبي كهذي القفارْ

* * *

وددتُ لو عندَيَ جهلُ الثرى تَعْمُر أو تُقفر هذي البيوتْ
غفلان لا يعنيه أمرٌ جرى أيُولدَ الحيُّ بها أم يموتْ

* * *

وليلةٍ تمضي وأخرى وما جئتَ فهل ألهاك عني أحدْ؟
ما ضاء من ليلاتنا أظلما والسبت خَدَّاعٌ بها كالأحدْ

* * *

يمتلئُ السطحُ على ضيقهِ والوقت عندي كانفساح الأبد
حسدته والقلب في ضيقه أنا الذي لم أدْرِ طعمَ الحسدْ

* * *

وذلك (الچاز) وهذا النغمْ منتقلًا بين الرضا والألمْ
يحمل لي طيفَ خيالٍ قَدِم تراه عيني في ثنايا حُلُمْ

* * *

في واحةٍ يرسو عليها الغريبْ فكلُّ ما فيها لديه غريبْ
وهكذا الدنيا خداعٌ عجيبْ إذا خلت أيامُها من حبيبْ

* * *

وهكذا يومٌ ويومٌ سواه ينكرها القلبُ الصَّبورُ الحمولْ
وهكذا يذهب طِيبُ الحياهُ بين التمني واعتذار الرسولْ

* * *

هنا مِهادُ الحبِّ هل تذكرينْ؟ وها هنا بالأمس طاب السمَرْ
وتلك الأحلامُ الهوى والسنينْ يحملها التيَّارُ فوق النهَرْ

* * *

والقمرُ الفضيُّ بين الغيومْ يخفق كالمنديل عند الوداعْ
يا حسرتا! هل صوّرتهُ الهمومْ كالزورقِ الغارقِ إلَّا شراعْ

* * *

قد جلَّلته غيمةٌ عابرهْ تسحبُ أذيالَ الأسى والندمْ
وأغرقتهُ موجةٌ غامرهْ فأطبق الصمتُ وَرَانَ العدمْ

* * *

ضممت أضلاعي على نعشِهِ فلم يزلْ فيها لهاوٍ شعاعْ
لأيِّ غورٍ زالَ عن عرشِهِ وغاص في اللجِّ إلى أيِّ قاعْ

* * *

أرثي لحظِّ الأُفق وهو الذي يرمقُني بالنظرة الساخرهْ
وتهرب الأنجمُ هذي وَذي ويجثم الليلُ على القاهرهْ

* * *

ويزحف الكونُ على خاطري كأنه في مقلة الساهر
سَدٌّ من الرُّعبِ بلا آخرِ يعبُّ عَبُّ الأبدِ الزاخرِ

* * *

وفي ظلالِ الموت موتِ الوجودْ وخلفَ أطلال البلى والهمودْ
وبين أنفاس الرَّدى والخمودْ وتحت سُحْبٍ عابساتٍ وسودْ

* * *

تدفعني عاصفةٌ عاتيهْ تقصف من خلفي وقُدَّامِيَهْ
قد مزَّقت روحي وآماليَهْ وقرَّبتْ لي طرَفَ الهاويهْ!

* * *

تلمع في الظلمة أحداقُها قد رحَّبَتْ باليأس أعماقُها
شافيةُ النفس وترياقُها مشتاقةٌ أقبل مشتاقُها

* * *

قد كان لي عندك عزُّ الذليلْ وكان للآمال ومضٌ ضئيلْ
يلمع في ظَنِّي قبل الرحيلْ فانطفأ النورُ ومات القليلْ

* * *

فداك يا جاهلةً ما بيَهْ قلبي وأنفاسي الظمّاء الحِرارْ
وكيف أنسى ليلتي الداميَهْ ولهفتي أَلْهَثُ خلف القطارْ؟

* * *

وعودتي أجرع كأسَ الحياة مُعاقِرًا سُمَّ الفناءِ البطيءْ
أُنْكِرُ أو أفزعُ ممن أراه سيان من يذهب أو من يجيءْ

* * *

ولـيـلـةٍ فـاضـت بـوسـواسـهـا تـعـجـبُ من إلْفَين بين البَشَرْ
ذلك يـعـدو خـلـف أنـفـاسـهـا وهـذه تـتـبـع سـيـر الـقـمـرْ

* * *

تـتـبـعـه بـيـن الـرُّبـى والـشِّـعـابْ تـتـبـعـه يـسـري خـلال الـحـسـابْ
كم هَلَّلَتْ وهو يضيء الرِّحابْ والتفتَتْ محسورةً حين عابْ

* * *

وذلك الطفل اللهيف الغيورْ في فَلَكٍ من ضوء ليلى يدورْ
يقفو خطاها وهي بين الطيورْ لـهـا جـنـاحـان مـراحٌ ونـورْ

* * *

كـزورق يـعـبـرُ بـحـرَ الـوجـودْ لـه شـراعـان ولـحـظٌ شَـرُودْ
كم شرَّقا أو غرَّبا في صعودْ وارتفعا حتى كأن لن يعودْ

* * *

ليلى ارجعي إني شقيٌّ كئيبْ أهتف مفقودَ الهُدى والقرارْ
يـا هـاتـه الأوطـان إنـي غـريـبْ وعـالـمـي لـيـس هـنـا يـا ديـارْ!

* * *

تـركـتـنـي وحـدي وخـلَّـفْـتـنـي أرزح تـحـت الـمـبْـكـيـات الـثِّـقـالْ
أنـكـرتِ مـيـثـاقـي وأنـكـرتـنـي أَكُلُّ مـاضـيـنـا ولـيـد الـخـيـالْ؟

* * *

فـرغـت مـن أحـلامـه وانـطـوى بِـمُـرِّهِ وارتـحـتُ مـن عـذبـهِ
الأمـرُ مـا شـئـتِ فـذنـب الـهـوى عـلـى الـذي يـكـفـر يـومًـا بـهِ

* * *

كان إلى الله سبيلي وما كان إلى الإيمان دَرْبٌ سواهْ
وكان في جُرح الهوى بلسما وكان عندي منحة من إلهْ

* * *

مهما تكن ناري فإنَّ الجحيم أرأفُ بي من ظلم هذا البعادْ
وربَّ همٍّ مُقْعِدٍ أو مقيمْ قد لطَّفَتْهُ نسماتُ الودادْ

* * *

فخفَّتِ النارُ وقرَّ الهشيمْ وعاودتني الذِّكَرُ الغابرهْ
والنيلُ يجري هادئًا والنَّسيمْ معربدٌ في الخُصَل الثائرهْ

* * *

كم تهتف الأيامُ: خانت فَخُنْ ويح حياتي إنْ تَخُنْ أمسها
إن هنتُ هذا عهدُها لم يَهُنْ ولا لياليها وإن تنسها

* * *

تُهيب بي الفرصةُ قبل الفواتْ ويعرض الصَّيدُ فلا أقنصُ
إني امرؤ زادي على الذكرياتْ وما غلا عندَيَ لا يرخصُ

* * *

ومطلبٍ في العمر ولَّى وفات وكان همِّي أنه لا يفوتْ
كأن فجرًا ضاحكًا فيَّ ماتْ وملءُ نفسي مغربٌ لا يموتْ

* * *

في السّأم الحيِّ الذي لا يَبيدْ والأملِ الطاغي بأن ترجعي
أجدِّدْ العيش وما من جديدْ وأدّعي السلْوان ما أدّعي!

* * *

كم خانني الحظُّ ولا أنثني أقضي زماني كلَّهُ في لعلْ
وتقسم المرآة لي أنني رَقَّعْتُ بالآمالِ ثوبَ الأجلْ

* * *

قد فاتني الصيفُ وخان الربيعْ وكان همِّي كلُّه في الخريفْ
وما شَكاتي حين شملي جميعْ وأنت لي أيكٌ وظلٌّ وريفْ

* * *

والآن قد مزَّق عندي القناعْ موتُ الأباطيل وزحف الشتاءْ
وبدَّد الوهمَ وفضَّ الخداعْ بَرْدُ المنايا وشحوبُ الفناءْ

* * *

وأَسِفَ القلبُ لكنزي الذي غَصَّتْ به أفئدة الحُسَّدِ
صحوت من وهمي ولا كنز لي قد صَفِرَتْ منها ومنه يدي

* * *

أين زمانٌ مُكتسٍ يومُهُ بالحبِّ مَوْشِيٌّ بحُلْم الغدِ
من هاته الأيام محرومةً عريانة الآمال والموعد؟!

* * *

قد قتل الدهرُ هنائي كما ماتت بثغري ضحكات السعيد!
وربما رقَّ زمانٌ قسا فانعطف الجافي ولان الحديدْ

* * *

محقق الآمال أو واعدٌ بفرحةٍ يوم لقاء وعيدْ
فإن يَعِدْني ثار شكِّي به كأنما وعد الليالي وعيدْ!

* * *

وا آسفا هذا سجلٌّ كُتِبْ خَطَّتْهُ كفُّ القدَرِ المحتجبْ
ففيم عَوْدِي لقديم الحِقَبْ وفيم تَسْآلِيَ عمّا ذهبْ؟

* * *

ضاقت بنا مصرُ وضقنا بها وكلُّ سهلٍ فوقها اليوم ضاقْ
وضاقتِ الدنيا على رحبِها أين ندامايَ؟ وأين الرفاقْ؟

* * *

كفٌّ تَلُمُّ العمرَ والعُمرُ راحْ وقبضةٌ تجمع شملَ الرياحْ
لا حَبَبٌ باقٍ ولا ظل راح ليلٌ تولَّى وتولَّى صباحْ

* * *

هذا نهارٌ مات يا للنَّهارْ كل مساءٍ مصرعٌ وانهيارْ
مال جدارُ النورِ بعد انحدارْ وغابتِ الشمسُ وراءَ الجدارْ

* * *

وذا مساءٌ صبغتْهُ الهمومْ بلونها القاني وهذي غيومْ
تحوم والظلمةُ فيها تحومْ تبسط مهدًا ليِّنًا للنجومْ

* * *

كأن ثوبًا في السماء احترقْ فلم يزل حتى استحال الأفقْ
ظلَّ دخانٍ أو بقايا رمقْ ولمَ يعُد إلاَّ ذيولُ الشفقْ

* * *

وتزحف الظلماءُ زحفَ المُغيرْ حاجبةً ما دونها كالسِّتارْ
وكل حيٍّ وادعٌ أو قريرْ ما اختلف الشأن ولا الحظُّ دارْ

* * *

العيشُ أمرٌ تافهٌ والمنونْ والحكمةُ الكبرى بها كالجنونْ
وهكذا نمضي وتمضي السنونْ وهكذا دارتْ رحاها الطحونْ

* * *

في شَجِّهَا حينًا وفي طَعْنِها سينقضي العمرُ وأين الفرار؟
وثورةُ الشاكين من طحنِها نوحُ الشظايا وعتابُ الغُبارْ!